«كتاب سيبويه بداية حقاً»؟

هو نفسه يلجأ بعد تعريف النداء مباشرة إلى ذكر «عامل النصب» في النداء حسبما يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخه[1]، لكنه لا يذكر رأي الخليل في عامل النصب في النداء فقط، بل يذكر آراء مختلفة له في أبواب النداء كلها. ثم لا يكتفي عندما يذكر رأي الخليل في نصب المنادى بذلك بل يسوق حواراً بينه وبين الخليل يبدو أنه دار بينهما فعلاً إذ تتكرر فيه «قال» و«قلت» مراراً، بل يصرح هو نفسه فيه بذلك عندما يقول: «وقال الخليل رحمه الله وسألته عن يا زيد نفسه... فقال»[2].

إلى جانب الخليل (الذي يتكرر ذكره عند سيبويه أكثر ما يكون) يذكر يونس ابن حبيب البصري[3]، وأبو عمرو بن العلاء[4]، لكن يبدو أنه أخذ عن يونس مباشرة، بينما بلغته أقوال أبي عمرو عن طريق شيخيه الخليل ويونس، فهل كتب الخليل في النداء؟ ومن أين جاء سيبويه بآراء يونس في النداء؟ وفي أي سياق جاءت توجهات أبي عمرو في النداء؟ ان هذه التساؤلات التي ستبقى إلى حدّ ما بغير ما إجابة شافية ان دلت على شيء فانما تدل على أن سيبويه ليس بداية مطلقة من كل قيد، بل هو بداية تنظيمية إذا صح التعبير، وهو بداية بهذا المعنى وبمعنى الاستقلالية التي تبدو في آراء سيبويه تجاه شيوخه حتى الخليل من بينهم، فهو في مضمار عامل نصب المنادى يقول انه «نصب على إضمار الفعل المتروك اظهاره..»[5] خلافاً للخليل الذي رأى «انهم نصبوا المضاف نحو: يا عبد الله ويا أخانا...»[6]. على أي حال فربما جاءت آراء الخليل هذه في سياق آرائه

(١) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ٢٨٢.
(٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٤.
(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٥.
(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢١٠.
(٥) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٢.
(٦) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ١٨٢.